

## فشلان.. أحلاماً مرّة

2016-04-11 نزار حيدر

فالدولة، أيّة دولة، تعتمد على سلطتين أساسيتين، هما التشريعية والتنفيذية، أما الثالثة، القضائية، فهي تحصيل حاصل.

أولاً؛ لنبدأ من السلطة التنفيذية، الحكومة، التي يجري الآن الحديث عن إصلاحها.

١/ كلنا نعرف فان إصلاحها لا يتحقق بتغيير الكابينة فقط، فمهما كان الفريق الحكومي الجديد يتميز بالموصفات الدولية المعمول بها في العالم الناجح الا انه لا يستطيع تحقيق إصلاح ما أفسده السياسيون على مدى الفترة الزمنية الطويلة المنصرمة.

وإذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الكابينة الجديدة ستعمل بنفس الأجواء الفاسدة والمسمومة التي لا زالت تخلقها الأحزاب الحاكمة وتسيطر وتعتاش عليها، فسنعرف مدى صعوبة مهمة الكابينة الجديدة في قيادة البلد نحو الأفضل.

كلّ هذا في حال مرر مجلس النواب كابينه (الطرف المختوم) التي قدّمها له رئيس مجلس الوزراء في الأسبوع الماضي، أما اذا اصرت الأحزاب والكتل على فرض مرشحيها في الكابينة الجديدة وعدم تنازلها عما تسميه باستحقاقاتها الانتخابية، وظلت تهدد بقلب الطاولة على رئيس الحكومة اذا لم يخضع لشروطها ويقبل بمرشحيها، كما يجري الحديث الان خلف الكواليس، فإننا سنعود الى المربع الاول نتحكم الأحزاب والكتل ورؤساءها بالفساد والفشل وبمصير البلاد والعباد الى الوقت المعلوم!.

٢/ أما اذا نجح رئيس الحكومة في اختيار وتشكيل الكابينة التي سيقول عنها، وبالفم المليان، انها فريقه الذي اختاره بنفسه وبالتشاور مع الكتل النيابية من دون فرض او اكره او تهديد، عندها سنخطو الخطوة الاولى باتجاه الإصلاح حتى اذا كانت خطوة صغيرة فالحكمة تقول [أن تسيّر في

الاتجاه الصحيح ببطء كالسُّلحفاة خَيْرٌ لَكَ من ان تركُّض كَالغزالِ في الاتجاه الخاطئ] فلقد ظلت الأحزاب المشاركة في العملية السياسية طوال الفترة الماضية تركّض في الاتجاه الخاطئ وشعار كبيرهم (بعد ما ننطيتها) بعد ان وظّف كلّ المقدّسات، ولا يزال، في صراعاته مع الجميع، وفي صراعه على السلطة تحديداً، فأنشغل بها حتى تمددت فُقاعة الارهابيين لتحتلّ نصف العراق الذي يُعاني الان من افلاسٍ خطيرٍ بسبب الفساد المالي والاداري الكبير الذي ظلّ يتستّر عليه لتحقيق مصالحه الشخصية والأسرية والحزبية الضيقة!.

ثانياً؛ اما بالنسبة لإصلاح السلطة التشريعية، مجلس النواب، والذي يُعتبر في النظم البرلمانية كحالة العراق الآن، القلب في جسد العملية السياسية برمتها، فله يعود التشريع والرقابة وتسمية كلّ المسؤولين في الدولة بدءاً برئيس الجمهورية وانتهاءً بكلّ الدّرجات الخاصة والهيئات المستقلة وكذلك درجات السلطة القضائية مروراً بالحكومة ورئيسها والوزراء والوكلاء والمفتّشين وغير ذلك.

لذلك فإنّ الاصلاح الحقيقي والجوهرى لكلّ العملية السياسية وأسس بناء الدولة، بما فيها الإصلاحات الدستورية، يعتمد على إصلاح مجلس النواب حصراً، ولا يُمكن تحقيق ذلك الا بتغيير قانون الانتخابات حصراً، فالقانون الحالي يكرّر إنتاج السياسيين الموجودين وكلّ الوجوه المحروقة والكالحة التي لم تجلب الخير للعراق على حدّ وصف الخطاب المرجعي لها، في كلّ عملية انتخابية جديدة، ويحلم من ينتظر إصلاح البرلمان من خلال صندوق الاقتراع اذا ظلّ قانون الانتخابات كما هو عليه الان بلا تغيير، فهو مفصّلٌ عليهم فقط يستنسخهم في كلّ مرّة.

وكما اسلفتُ قبلَ قليل، فحتّى الإصلاحات الدستورية تتحقّق في البرلمان، اذا تحقّقت عملية إصلاح مجلس النواب، ليلغي دور زعيم الكتلة النيابية كراعٍ يهشّ على غنمه في حضيرةٍ او مرعى.

لنطلق إذن من الآن حملةً وطنيةً واسعةً وشاملةً وشديدةً للضغط على مجلس النواب لتغيير قانون الانتخابات بما يحقّق؛

الف؛ مبدأ [صوتٌ واحدٌ لمواطنٍ واحدٍ] الامر الذي يُنهي سطوة زعماء الكتل الكبيرة على الدولة والمشهد السياسي برمته.

كما أنه يفسح المجال للكفاءات الوطنية المستقلة، التي حاصرتها الاحزاب الفاسدة طوال الفترة المنصرمة، لحجز مقاعدها تحت قبة البرلمان بصوت الناخب وثقته فقط وبرصيدها الشخصي، وهناك يشكّلون كتلاً برلمانية جديدة، قد يتنافسون المقاعد مع الاحزاب بما يمكنهم من تحقيق نوع من التوازن الذي ينشط ويفعل الدور الرقابي للبرلمان.

باء؛ كما ان هذا المبدأ سيساعد على تحقيق مبدأ التجديد والتحديث في نظرية تعاقب الأجيال، وهي النظرية التي يعمل على تحقيقها اليوم كثير من الناس، بعد ان ثبت للجميع ان جيل السياسيين الحالي فشل في تجاوز عقد الماضي كما فشل في تجاوز عقلية المعارضة الى عقلية بناء الدولة، فضلاً عن انه فشل في تجاوز صراعاته ومشاكله التاريخية التي عاشها في بلاد المهجر أيام الجهاد والنضال ضد الديكتاتورية.

ان مبدأ [صوت واحد لمواطن واحد] يتيح الفرصة ويفتح الأبواب على مصراعيها لنهوض جيل جديد من السياسيين يتمتعون بعقلية عصرية قادرة على استيعاب المتغيرات الدولية وهضم عقد الماضي بما يساهم في بناء رؤية جديدة تساعد على بناء العراق دولة حديثة وعصرية ومقتدرة وناجحة.

جيل متحرر من سطوة الاحزاب الفاشلة والزعامات الفاسدة.

جيم؛ تقسيم العراق لعدد من الدوائر الانتخابية يساوي عدد مقاعد مجلس النواب، كما نص على ذلك الدستور، طبعاً باستثناء مقاعد الأقليات كما نص عليها القانون.

هذا ما يخص قانون الانتخابات.

كما ينبغي ان تشمل هذه الحملة الوطنية المطالبة بتغيير قانون الأحزاب بما يحقق اعتماد معيار المواطنة فقط لا غير في الانتماء الحزبي الى جانب تحريم وتجريم المساعدات المالية التي لازالت تتلقاها كل الاحزاب السياسية الحالية من خلف الحدود!.

الى جانب ذلك، ينبغي ان تشمل الحملة المطالبة بإعادة تشكيل المفوضية العليا المستقلة

لانتخابات بما يحقق استقلاليتها عن تأثير الاحزاب والكتل والزعماء والسياسيين بأي شكل من الأشكال.

بالاضافة الى تشريع قانون الإحصاء السكاني العام.

اننا اليوم أمام فشلين، لا ينبغي ان نتوقع الاصلاح الشامل بلمسة سحرية، كما انه ليس في صفوف العراقيين من يحمل عصا موسى لنوحى له {أَنْ اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}.

ولا نغفل عن حقيقة ان فساد السياسيين هو جزء من فساد المجتمع، فليس احد أفضل من احدٍ للاسف الشديد!

ان اية إصلاحات في السلطة التنفيذية تبقى إصلاحات ترقيعية لا تمس الجوهر، على الرغم من انها ترقيعات مطلوبة ولازمة وضرورية على الأقل للوقوف بوجه الانهيار الشامل، اما الاصلاح الحقيقي والجوهري فلا يتحقق الا من خلال إصلاح السلطة التشريعية، مجلس النواب فقط و فقط، او ننتظر الطوفان في الوقت المعلوم!

أَلْفَشَلُ عَلَى مُفْتَرَقِ طُرُقٍ!

لقد اتضح الآن، اليوم تحديداً وبعد خطاباتهم الرنانة، الخطان المتوازيان المتناقضان اللذان لا يمكن ابداً ان يلتقيا من الآن فصاعداً مهما طال الزمان.

لقد تمّ اليوم الفرز بينهما بما لا يقبل النقاش والجدال.

الخطّ الأوّل هو خطّ الفساد والفشل الذي يتبناه السياسيون، كل السياسيين تقريباً الا من خرج بدليل منهم.

يعتمد هذا الخطّ على الاستمرار في نفس المنهج الذي أداروا به البلد منذ سقوط نظام الطاغية  
الدليل صدام حسين في مثل هذا اليوم [التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣] ولحدّ الآن، بسمي وشماعة  
الشراكة والتوازن متكئين على الدستور الذي لم يبقَ من ديباجته وأبوابه الستة وكلّ فصولها الكثيرة  
وموادّه الـ (١٤٤) سوى هتين الكلمتين التي ينفذون منها لتثبيت مصالحهم وامتيازاتهم الباطلة لأنهم  
لا يجدون أنفسهم ومصالحهم وامتيازاتهم ووجودهم الا تحت عباءتها.

بمعنى آخر، ان هذا الخطّ يُريدُ ان يُحافظ على حقّ النّقض (الفيتو) والمحاصصة كالكرة يتلاقفونها  
فيما بينهم للاستمرار في التحكّم بمصير البلد والشعب، وهي المنهجية التي أنتجت لنا كلّ هذا  
الفسل المتراكم والفساد المالي والاداري والفضى السياسية وانعدام هيبة الدولة والتهرّب من  
تقديم (عجلٍ سمين) واحدٍ على الأقل الى القضاء ليقف خلف القضبان، ولذلك تتكرّر نفس الأسماء  
المحروقة والوجوه الكالحة التي لم تجلب لنا الخير في كلّ صورةٍ (تذكارية) او مشهدٍ تصويري او  
احتفاليةٍ يجتمعون فيها بمناسبةٍ او أخرى.

الخطّ الثاني؛ هو الذي يتبناه الشارع العراقي وكل مواطنٍ حرّ شريف يسعى لإنقاذ البلاد من براثن  
هذه العصابة الفاسدة التي ابتلينا بها لسببٍ او لآخر منذ التغيير ولحدّ الآن.

هذا الخطّ الوطني هو الذي يمتدّ بدءاً بالمرجعية الدينية وشخص المرجع الاعلى الذي بحّ صوته  
لكثرة وتكرار دعواته للإصلاح الحقيقي من دون استجابةٍ منهم، وانتهاءً بالاغلبية الصامتة مروراً بكلّ  
مواطنٍ تظاهر او اعتصم او كتبَ او نشرَ كلّ ما يعبر عن حالة الرفض والسخط للواقع المر والرغبة  
المُلحة في الاصلاح وانجاز الحرب على الفساد.

وفي ذكرى الشهيدين العظيمين، الصدر والحكيم، يتمّ الآن الفرز بين من بكى اليوم على النهج الذي  
خطّاه بدمائهم الزاكية وبين من يتاجر بالمنهج والشهيد والدماء والبلد! والحكمُ الأداء.

ولا أنفي فلازال للخطّ الاول مريدون وانصار وتابعون هم كلّ المستفيدين من واقع الحال بشكلٍ او  
بآخر، انهم عبدة العجول الحنيذة وانصار القائد الضرورة وأبواق (المقدّسات) المزيّفة التي صنعها  
لأنصاره كل واحدٍ من الأصنام التي باتت تعبدُ من دون الله تعالى.

في نفس الوقت، فإن انصار الخطّ الثاني، خطّ الاصلاح والتّغيير، يزدادون يوماً بعد آخر، كماً ونوعاً، فحركتهم اليوم ككرة الثلج تكبر بمرور الزمن، لأنهم يعبرون الآن عن مستقبلٍ جديدٍ يتطلّع اليه العراقيون مهما غلا الثمن وطال الزمن.

لا أوجهُ حديثي الآن لانصار الخطّ الاول، اذ يبدو لي ان الحديث معهم حديثٌ مع {صمُّ بكم عمي} فهم لا يرجعون! لانهم {جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً} ولذلك تراهم يكررون نفس الخطاب الذي تعود عليه الرّاي العام منذ اكثر من (١٣) عاماً والذي ثبت بالتّجربة وبالقطع واليقين انه خطابٌ عقيمٌ {لا يسمنُ ولا يغني من جوع} وهو لا يقدم ولا يؤخر ولا يؤثر في شيء ابدأ الا اللهم الى المزيد من العبارات المعسولة والجمل الانشائية والكلمات الأدبية التي تُطرب لها الآذان ولا تدخل الى القلب ابدأ، تلامس العواطف ولا تترك أثراً على الوعي.

حديثي هنا مع انصار واتباع وكل من يتبنى الخطّ الثاني؛

١/ الإصرار على متبنيات الاصلاح الحقيقي، والذي يبدأ من تبني الكابينة الوزارية المستقلة حصراً، بعد ان ثبت كذلك بالدليل القاطع ان الوزير السياسي والحزبي، في التّجربة العراقية تحديداً، يفشل في وزارته مهما كان متخصصاً وكفوءاً في عمله لانه يُدار من قبل حزبه او كتلته التي تصفر رصيدهُ الشّخصي لحسابها!.

٢/ الاصلاح في الكابينة بداية المشوار وليس كل المشوار، فهو الخطوة الاولى التي ستقلل من، ولا تلغي، هيمنة الأحزاب والكتل الفاسدة على المشهد السياسي، ولا بد ان تتبعها الخطوات الأخرى مثل الغاء ادارة الدولة بالوكالات وغيرها من الخطوات التي تمّ الإعلان عنها في مجلس النواب.

٣/ الاستعداد لممارسة كل أنواع الضّغط على مجلس النواب لتمرير القوانين التي تهيب الارضية لتحقيق الاصلاح الجذري وعلى رأسها قانون الانتخابات لنشهد نتائج جديدة تقود البلد الى الاصلاح الحقيقي في اول انتخابات محلية وبرلمانية قادمة.

٤/ ولا ننسى قول الامام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول {لا يعدمُ الصّبورُ الظّفَرُ وإن طال به

الزَمَانُ} فلا لليأسِ ولا للتراجعِ ولا للنكوصِ، ولنحذر ان يكون الشَّارعُ الغاضبِ والثائرُ مصداقِ قولِ الله عز وجل {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَظَتْ غَزَلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا}.

واخيراً؛ اذكر أنصار الخطِّ الأوّلِ بقول أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول فيه {الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٍ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَى بِهِ}.

إِحذروا ان يأتِ احدكم يوم القيامة {يَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا\* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا\* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}.

أمامكم فرصة لتغيير المنهج في الوقت متّسع، ولن يعوزكم الا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام {فِيهَا لَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةٌ، وَمَوَاعِظٌ شَافِيَةٌ، لَوْ صَادَقَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعًا وَاعِيَةً، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَابًا حَازِمَةً! فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَعَ، وَأَفْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجَلَ فَعَمِلَ، وَحَادَرَ فَبَادَرَ، وَأَيَّقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعَبَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحَدَّرَ [فَحَذَرَ، وَزُجِرَ] فَازْدَجَرَ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَأَفْتَدَى فَأَحْتَدَى، وَأَرَى فَرَأَى، فَاسْرَعَ طَالِبًا، وَنَجَا هَارِبًا، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَادًا، وَاسْتَظْهَرَ زَادًا لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهَ سَبِيلِهِ، وَحَالَ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنَ فِاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ}.

.....

\* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية